لا يغمز الساق من أين ولا وصب ... ولا تراه أمامَ القوم يقتفر
انى أشد حزيمى ثم يدركني ... منك البلاء ومن ألائك الذكر
فإن جزعنا لمثل الشر أجزَعنا ... وان صبرنا فانا معشر صُبُرُ
أما سلكت سبيلا كنت سالكه ... فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
لا يَصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

وكعب بن سعد رثى أخاه أبا المغوار بكلمة قال فيها :

وخبرتماني إنما الموت بالقرى ... فكيف وهاتا روضة وكثيب
وماء سماء كان غير محمَّة ... وما أُقتال فى حكم على طبيب
فلو كانت الموتى تباع أشتريته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعيني أوْ إحدى يدى وقيل لى ... هو الغانم الجُذلان حين يؤوب
وداع دعايا من يُجيب إلى الندى ... فلم يستجبهْ عند ذاك مجيب

فقلت أدع أخري وارفع الصوت دعوة
لعل أبا المِغوار منك قريب

شعراء القرى العربية

وهن خمس : المدينة . ومكة . والطائف . واليمامة . والبحرين وأشعرهن قرية المدينة . شعراءها الفحول خمسة . ثلاثة من

الخزرج ، واثنان من الأوس ، فمن الخزرج من بني النجار حسان ابن ثابت ، ومن بني سلمة كعب بن مالك ، ومن بلحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة ، ومن الأوس قيس بن الخطيم من بني ظفر ، وأبو قيس بن الأسلت من بنى عمرو بن عوف .

وأشعرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر جيده وقد حُمل عليه مالم يحمل على أحد لمَّا تعاضهت قريش واستبت وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لاتليق به . وكان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام من سادة قومه وأشرافهم . والمنذر كان الحاكم بين الأوس والخزرج فى يوم سُميحة وهو يوم من ايامهم ، وكانوا حكّموا فى دمائهم يومئذ مالك بن العجلان بن سالم بن عوف فتعدى فى مولى له قتل يومئذ . وقال : لا آخذ إلا دية الصريح فأبوا ان يرضوا بحكمه فحكّموا المنذر بن حرام فحكم بأن اهدر دماء قومه الخزرج واحتمل دماء الأوس فذكره حسان فى شعره فى قصيدته التى قال فيها :

منع النوم بالعشاء الهموم

واسرت مزنية ثابتا ابا حسان فعرض عليهم الفداء فقالوا لانفاديك الا بتيس ومزنية تُسَبُّ بالتيوس فأبى وابوا فلما طال

مكثه ارسل الى قومه أن اعطوهم اخاهم وخذوا اخاكم .

ومن شعر حسان الرائع الجيد ما مدح به بني جفنة من غسان ملوك الشام فى كلمة :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق فى الزمان الأول
يسقون مَنْ وردالبريص عليهم صهبا تصفق بالرحيل السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسئلون عن السواد المقبل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

وقوله فى الكلمة الأخرى الطويلة :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنى وقائلنا بالعرف ألا تكلما

وقوله :

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالما من الناس الا ما جنى لسعيد

ولما قال للحارث بن عوف بن أبى حارثة ما قال :

وأمانة المري حيث لقيته مثل الزجاجة صدعها لم يُجبر

قال الحارث لمحمد أجرنى من شعر حسان فوالله لو مزج به ماء البحر لمزجه ، وأشعار حسان واحاديثه كثيرة

وكعب بن مالك شاعر مجيد قال يوم احد فى كلمة :

فجئنا الى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنّع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرنا او أربع
فراحوا سراعاً مُرجعين كأنهم جَهام هراقت ماءه الريح مقلع
ورحنا وأخرانا بِطاء كأننا اسود على لحم يبيشته ظلع

وقال كعب فى ايام الخندق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضا كمعمعة الأباء المحرق
فليأت مأسدةً تسن سيوفها بين المزاد وبين جزع الخندق

وقال بعد ذلك فى كلمة ايضا :

قضينا من تِهامة كل وتر وخيبر ثم اغمدنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست بحاضن ان لم تروها بساحة داركم منا ألوفا
فننتزع العروش ببطن وجّ وتترك داركم منا خُلوفا
ونهدم ما بنات اللات منكم ونسلبها القلائد والشنوفا

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا محمد بن سلام قال حدثني عمر ابن معاذ التيمى المعمرى وغيره : قالوا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك أترى الله نسى قولك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها وليغلبن مغالب الغلاّب

وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك هو وهلال بن أمية والربيع بن مرارة فتاب الله عليهم كما قص فى سورة براءة .

وعبد الله بن رواحة عظيم القدر فى قومه سيد فى الجاهلية ليس فى طبقته التى ذكرنا أسود منه ، شهد بدراً . وكان فى حروبهم فى الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم. وكان فى الاسلام عظيم القدر والمكانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عمر بن أبى زائدة قال سمعت مدركة بن عمارة بن عقبة بن أبى معيط يقول : قال ابن رواحة مررت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى نفر من أصحابه فاضبّ القوم ياعبد الله بن رواحة ياعبدالله ابن رواحة فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانى فانطلقت اليهم مسرعاً فسلمتُ فقال ههنا فجلست بين يديه فقال كأنه يتعجب من شعرى: كيف تقول الشعر إذا قلت، قلت انظر فى ذلك ثمّ أقول . قال : فعليك بالمشركين قال ولم أكن اعددت شيئاً فأنشدته :

نخبرونى اثمانَ العباء متى كنتم بطاريق أودانت لكم مضر

قال فكأنى عرفت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة ان جعلت قومه اثمان العباء فقلت :

نجالد النّاس عن عرْضٍ فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا حي من الناس ان عزوا وان كثروا
يا هاشم الخيران الله فضلكم على البرية فضلا ماله غِيَرُ
انى تفرست فيك الخير أعرفه فِراسة خالفتهم فى الذى نظروا
ولو سألت أواستنصرت بعضهم فى جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نُصروا

فأقبل علىّ بوجهه متبسما ثم قال وإياك فثبت الله

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موتة ثالث ثلاثة أُمَرَاء زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وابن رواحة. فلما قتل صاحباه كأنه كره الاقدام فقال :

أقسمت يا نفس لَتَنزِلَنّهُ طائعة أوْ وَلتكرهنّه
وطالما قد كنت مطمئنة ما لى أراك تكرهين الجنّه

فقتل يومئذ

وأبو قيس بن الأسلت وهو شاعر مجيدٌ وهو الذي يقول فى حرب كانت بينهم وبين الخزرج :

قد حصت البيضة رأسى فما أطعمُ نوما غير تهجاع
أسعى على جل بني مالك كل امرء فى شأنه ساع

وذكروا انه أقبل يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن أبي: خفت والله سيوف الخزرج. قال لاجرم والله لا أسلم حولا ، فمات فى الحول

وقيس بن الخطيم شاعر فمن الناس من يفضله على حسان ولا اقول ذلك وهو الذى يقول فى يوم بُعاث

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمْرة قفراً غير موقف راكب

يعنى عمرة بنت رواحة ، وهى أخت عبد الله بن رواحة وهى أم النعمان بن بشير

ديار التى كانت ونحن عَلَى منىً تحِلّ بنا لولا نجاء الرّكائب
تراءت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنّت بحاجب
ولم أرها إلا ثلاثا عَلَى منى وعهدى بها عذراء ذات ذوائب
ومثلكِ قد أصبيت ليست بكنّة ولا جارة ولا حليلة صاحب
أربْت بدفع الحرب حتى رأيتها عَلَى الدفع لا تزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حرباً تجردت ليست مع البردين ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الأنامل ذيلها كان قتيريها عيون الجنادب
إذا ما فررْنا كان أسْوَا فرارنا صدود الخدود وأزوار المناكب

ومن شعره :

تراءت لنا يوم الرّحيل بمقلتي ... غرير بملتفّ من السدر مفرد
وجيد كجيد الرئم حالٍ يزينه ... على النحر منظوم وفصل زبرجد
كأنّ الثريا فوق ثغرة نحرها ... توقّدُ في الظلماء أي توقد
وإني لأغنى الناس عن متكلف ... يرى الناس ضُلّالا وليس بمهتدى
أكثر أهلي من عيالٍ سواهمُ ... واطوى على الماء القراح المبرّد

وهو الذى يقول:

طَعَنْتُ ابنَ عبد القيس طعنة ثائر ... لها نقب لولا الشّعاع أضاءها

قال وكان قيس مقيما على شركه وأسلمت امرأته وكان يقال لها حواء. وكان يصدها عن الاسلام ويعبث بها يأتيها وهي ساجدة فيقلبها على رأسها. وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن امور الأنصار وعن حالهم فأخبر باسلامها وبما تلقى من قيس فلما كان الموسم أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فى مضربه فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رحب به وأعظمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن امرأتك قد أسلمت وأنت تؤذيها فاحِبّ أن لا تعرض لها قال نعم وكرامة ياأبا القاسم لست بعائد فى شئ تكرهه فلما قدم المدينة قال لها إن صاحبك لقد لقيني فطلب إلى أن لا أعرض لكِ فشأنكِ وأمركِ

وبمكة شعراء

فأبرعهم شعرا عبد الله بن الزّبَعْرَى بن قيس بن عدى بن ربيعة ابن سعد بن سَهْم ، وأبو طالب بن عبد المطلب شاعر ، وأبو سفيان بن الحارث شاعر ، ومُسافر بن أبي عمرو بن امية شاعر ، وضرار بن الخطاب شاعر ، وأبو عزة الجمحى شاعر واسمه عمر بن عبد الله ، وعبد الله بن حذافة السّهمى المزّق ، وهُبَيرة بن أبي وهب بن عامر بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

أخبرنا ابو خليفة أخبرنا ابن سلاّم قال حدثني شعيب بن صخر وأبو بكر الزبيرى المصعبي . قال : أصبح الناس يوماً بمكة وعلى باب النّدوة مكتوب

ألهى قُصيّاً عن المجد الأساطير ورُشوة مثل ما ترشى السّفاسير

وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له وقولهارَ حلَتْ عيرٌ أتت عِيرُ

فأنكر الناس ذلك وقالوا ما قالها إلا ابن الزبعرى واجمع على ذلك رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم . وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضها بعضاً . فقالوا لبنى سهم ادفعوه الينا نحكم فيه بحكمنا قالوا وما الحكم فيه قالوا قطع لسانه قالوا فشأنكم واعلموا والله أنه لا يهجو نا رجل منكم إلا فعلنا فيه مثل ذلك والزبير بن عبد المطلب

يومئذ غائب نحو اليمن فانْتجَتْ بنو قصى بينهم فقالوا لا نأمن الزّبير أن يبلغه ما قال ابن الزبعرى أن يقول شيئاً فيؤتى اليه مثل ما أتى إلى هذا وكانوا أهل تناصف فأجمعوا على تخليته فخلوه فقال له الناس وحملوه على قومه أسلمك قومك ولم يمنعوك ولو شاؤا منعوك فقال :

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتى ... وإن صالحت اخوانها لا ألومها
يود جُناة الغي أنّ سيوفنا ... بأيمانا مسلولة لا نشيمها

وقال فى يوم أحد كلمة قال فيها :

كل بؤس ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكل
والعطيات خساس بيننا ... وسواء قبر مثرٍ ومُقِل
ليت أشياخى ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
حين القت بقباء بركها ... واستحر القتل فى عبد الأشل
فقبلنا النصف من ساداتهم ... وعدَلنا ميل بدر فاعتدل

أخبرنا ابن سلام قال زعم ابن جعدبة انه سمع هشام بن عروة ينشد هذا الشعر وهو ليت أشياخى . وقال لبنى المغيرة بن عبد الله المخزوميين . وكان لهم بلاء فى الفجار وأمهم سهمية رَيْطةُ

ألا لله أمُّ ولد ... ت اخت بنى سهم

هشام وأبو عبد مناف مِدْره الخصم
وذو الرمحين أشبال من القوة والحزم
فهذان يذودان وذا من كثب يرمى
وإن أحلف وبيت الله لم أحلف على إثم
لما أن اخوة بين د روب الروم والردم
بأزكى من بنى ريطة أو أرزن فى حلم
همُ يوم عكاظ منعوا الناس من الهزم

وكان الفزاري ينشدها ـ وأبا عبد مناف ولدت ـ وأبو عبد مناف هاشم بن المغيرة جد عمر بن الخطاب لأمه، وذو الرمحين ابن ربيعة ابن المغيرة ابو عبد الله وعياش ابنى ربيعة . ثم ابن الزبعرى أسلم بعد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقال وأحسن :

يارسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ انا بور
إذ أجارى الشيطان فى سنن الغـ ـى ومن مال ميله مثبور
آمنَ اللحم والعظام بما قلـ ـت فنفسى الفدى وأنت النذير

وقال :

منع الرقاد بلابل وهمومُ والليل معتلج الرّواق بهيم
مما أتانى أنّ أحمد لامنى فيه فبت كأننى محموم

ياخير من حملتْ على أوصالها ... عيرانة سُرُح اليدين رَسوم
إنى لمعتذر اليك من الّذى ... أسديت أذأنا في الضلال أهيم
أيام تأمرنى بأغوى خطة ... سهمٌ وتأمرنى بها مخزوم
فاغفر فدى لك والديّ كلاهما ... ذنبي فانك راحم مرحوم
وعليك من أثر المليك علامة ... نور أضاء وخاتم مختوم
مضت العداوة فانقضت اسبابها ... ودعت أواصر ييننا وحلوم

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا محمد بن سلاّم قال حدثنى ابن جُعدبة قال قدم ضرار بن الخطاب الفهرى وعبد الله بن الزبعرى المدينة أيام عمر بن الخطاب فأتيا أبا أحمد بن جحش الأسدى وكان مكفوفا وكان مألفاً يجتمع اليه ويتحدث عنده ويقول الشعر فقالا له أتيناك لترسل الى حسان بن ثابت فنناشده ونذاكره فانه كان يقول فى الاسلام ويقول فى الكفر فأرسل اليه فجاء فقال يا أبا الوليد أخواك تطربا اليك ابن الزبعرى وضرار يذاكرانك ويناشدانك قال نعم ان شئتما بدأت وان شئتما فابدءآ قالا نبدأ فأنشداه حتى اذا صار كالمرجل يفور قعدا على رواحلهما فخرج حسّان حتى لقى عمر بن الخطاب وتمثل ببيت ذكره ابن جعدبه لا أذكره فقال عمر وما ذاك فأخبره خبرهما فقال لاجرم

والله لا يفوتانك فأرسل فى إثرهما فردّا وقال لحسّان انشد فأنشد حسان حاجته حتى قال له اكتفيت قال نعم قال شأنكما الآن ان شئتما فارحلا وان شئتما فأقيما

وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام وأبرع ماقال قصيدته التى مدح فيها النبي صلي الله عليه وسلم وهى :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامي عصمة للأرامل

وقد زيد فيها وطولت . رأيت فى كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة وقد علمت أن قد زاد الناس فيها فلا أدرى أين منتهاها . وسألني الاصمعى عنها فقلت صحيحة قال أتدرى أين منتهاها قلت لا أدرى . وأشعار قريش أشعار فيها لين تشكل بعض الاشكال

وأجمع الناس على ان الزبير بن عبد المطلب شاعر والحاصل من شعره قليل فمما صح عنه قوله :

ولولا الحبش لم يلبث رجال ثياب أعزّة حتى يموتوا

وقال قوم ـ ولولا الحمس ـ وليس بشئ انما هى الحبش وذلك أنهم أخذوا ثيابهم ومتاعهم وذاك حين جاؤا يريدون هدم البيت فرماهم الله وكانت أم أيمن منهم غنمتها قريش وهى أم أسامة بن زيد

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قلت لخلف من يقول :

اذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حليما ولا توصه

فقال يقال للزبير بن عبد المطلب فقلت فان الخليل يقول هذا خطأ فى بناء القوافى حين قال :

وان باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

كان يقول لا يتفق هذا أبدا قال خلف الخليل أخطأ نراها جائزة

ولأبى سفيان بن الحرث شعر كان يقوله فى الجاهلية فسقط ولم يصل الينا منه الاّ القليل ولسنا نعد ما يروى ابن اسحاق له ولا لغيره شعرا ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم . قال أبو سفيان :

لعمرك انى يوم أحمل راية لتَغْلِبُ خيل اللّات خيل محمّد

لكا لمدلج الحيران أظلم ليله بعيدا أرجى حين أهدى واهتدى

هدانى هاد غير نفسى وقادنى الى الله من طردت كل مُطَرّدِ

فبلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أنت طردتني كل مطرد ، كأنه ينكرها يردّد ذلك ،

وقال ابو سفيان يوم أُحُد يرد على حسّان بن ثابت وكان

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا فى عقب بدر عيراً لقريش فيها فضة وكانوا تنكبوا طريق الشام وأخذوا طريق العراق فقال حسان :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
إذا سلكت حوران من أرض عالج فقولا لها ان الطريق هنالك

فلما كان يوم أحد قال أبو سفيان :

شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها فوارس من أبناء فهر بن مالك
حسبتم جلاد القوم حول بيوتكم كأخذكم فى العير أرطال آنك

فقال أبو سفيان بن حرب لأبى سفيان بن الحارث يا ابن أخى — لو جعلتها آنُك — ان كانت لفضة بيضاء جيّدة . ويروى الناس لأبى سفيان بن الحارث قولا يقوله لحسان :

أبوك أبو سوء وخالُك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا
وانّ أحق الناس ان لا تلومه على اللوم من ألفى أباه كذلكا

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام قال وأخبرنى أهل العلم من أهل المدينة : أن قُدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحى قالها ونحلها أبا سفيان وقريش تزيد فى اشعارها

تريد بذلك الأنصار والرّد على حسّان

وكان ضرار بن الخطاب بن مرداس بن محارب بن فهر من ظواهر قريش كان لا يكون بالبطحاء الا قليلا . وكان جمع من حلفاء قريش ومن مُرّاق كنانة ناسا فكان يأكل بهم ويغير ويسبي ويأخذ المال والحارث بن فهر بطخارية . وكان ضرار خرج في الجاهلية في ركب من قريش فمروا ببلاد دوس وهم يطالبون قريشا بدم أبي أزيهر قتله هشام بن المغيرة فثأروا بهم وقتلوا فيهم فقاتلهم ضرار ثم لجأ الى امرأة منهم يقال لها أم غيلان مقيّنة تقين العرائس يقال انها مولاة لهم فأدخلته بين درعها وخمارها ودافعت عنه هي وبناتُها وصرخت بينيها فجاؤا فخرج معهم ضرار فجالد أشد الجلاد فقالت أم غيلان ما رأيت شدة أفكل أقرب الى حسن جلاد منه . وقال ضرار :

جزى الله عنا أم غيلان صالحا ... ونسوتها اذهنّ شعث عواطل

فهن دفعن الموت بعد اقترابه ... وقد ظهرت للثائرين مقاتل

وجردت سيفي ثم قمت بنصله ... وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

ولقي ضرار يوم أحد عمر بن الخطاب في الجولة التي جالها المسلمون وكان قد آلى أن لا يقتل يومئذ قريشا فضربه بعارضة

سيفه وقال : انج يابن الخطاب فضرب الدهر ما ضرب وولى عمر ابن الخطاب فسمعت أم غيلان بذكر ابن الخطاب فظنته ضراراً فقدمت عليه فقال لها قوم قدمت وهو غائب فأتت عمر فأخبرته بالذى جاءت له فأثابها

وحدثني ابن سلام قال حدثنى ابان الأعرج بحديثها قال جاءت فلقيت ضراراً فقالت : قد عرفت بلائى عندك وقد وليت ما وليت . قال ما أعرفني بذاك ولست أنا بالذى تولى ماتوهمّت ذاك عمر بن الخطاب ولئن كان لك عندى يدٌ وبلاءٌ ان لى عنده يداً وبلاءً يعني يوم أحد فاذهبي بنا اليه فأتاه فقال يا أمير المؤمنين هذه أم غيلان وقد عرفت ما كان من أمرها سمِعت بولايتك فظنتنى الوالى فأتتني تطلب النوال قال فتريد ماذا قال تعجل عطائى فأكافئها فأعطاها نصف عطائه ونصف عطاء عمر وكان ضرار على بني محارب فى الفجار

قال ابن سلام وكان أبو عَزّة شاعراً وكان مملقا ذا عيال فأسر يوم بدر كافراً فقال يارسول الله انى ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علىّ صلوات الله عليك فقال على الاّ تُعين علىّ ـ يُريد شعرهُ ـ فعاهده فأطلقه وقال :

ألا ابلغا عني النبي محمداً بانك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو الى الرشد والتقى عليك من الله الكريم شهيد
ولكنْ اذا ذكّرت بدراً وأهلها تأوّب ما بي حسرة وتعود

فلما كان يوم أحد دعاه صفوان بن أمية بن خلف الجمحي وهو سيدهم الى الخروج فقال له إن محمداً قد منّ عليّ وعاهدته الا أُعين عليه فلم يزل به وكان محتاجاً فأطمعه والمحتاج يطمع فخرج فسار في بني كنانة فحرضهم وقال :

يا بني عبد مناة الرُّزّامْ أنتمْ حماة وأبوكم حامْ
لا تَعدونى نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحل اسلام

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا ابن سلام قال حدثني ابان بن عثمان وهو قول ابن اسحاق أن أبا عزّة أسر يوم أحد فقال يارسول الله من على فقال النبي عليه الصلاة والسلام لا يلسع المؤمن من جحر مرتين. وقال ابان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمسح عارضيك بمكة تقول خَدَعت محمدا مرتين فقتله فذكرت ذلك لابن جعدبة فقال ما أسر يوم أحد هو ولا غيره ولقد كان المسلمون يومئذ في شغل عن الأسر ولم ينكر قتله وكان ينكر قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبراً فقال أصابته جراحةً

فارتثّ منها وكان شديد العداوة فقال لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً ما دمت فى أيديهم فمات فأخبرت أبى سلاّماً بقول ابن جعدبة فى أبى عزة فقال قد قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتل احداً صبراً الا عقبة بن أبى مُعَيط يوم بدر

قال ابن جعدبة بَرَص أبو عزة بعد ما أسنّ وكانت قريش تكره الأبرص وتخاف العدوى فكانوا لا يؤاكلونه ولا يشاربونه ولا يجالسونه فكبر ذلك عليه فقال الموت خير من هذا فأخذ حديدة وصعد الى جبل حراء يريد قتل نفسه فطعن بها فى بطنه فضعفت يده لما وجد مسها فارت الحديدة بين الصفاق والجلد فسال ماء أصفر وذهب ما كان به فقال :

لا همّ ربّ وائل ونهد ... والتّهَمات والجبال الجرد
ورب من يرمى بياض نجد ... أصبحت عبداً لك وابن عبد
أبرأتنِى من وضح بجلدى ... من بعد ما طعنتُ فى معدّ

ـ المَعَدُ ـ موضع رجل الراكب من الفرس

وكان هبيرة بن أبى وهب شاعراً من رجال قريش المعدودين وكان شديد العداوة لله ولرسوله فأخمله الله ودحقه وهو الذى يقول فى يوم أحد :

قدنا كنانة من أكناف ذي يمن ... عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة لا أنى تذهبون بنا ... قلنا النّخيل فأموها وما فيها

وله شعر كثير وحديث .

قال ابن سلاّم وبالطائف شعراء

وليس بالكثير وانما كان يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم . والذى قلّل شعر قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا وذلك الذى قلل شعر عمان وأهل الطائف فى طرف ومع ذلك كان فيهم أبو الصلت بن أبى ربيعة ، وابنه أمية بن أبى الصلت وهو أشعرهم ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل

وكان أبو الصلت يمدح أهل فارس حين قتلوا الحبشة فى كلمة قال فيها :

لله درهم من عصبة خرجوا ... ما أن ترى لهم فى الناس أمثالا
بيضاً مرازبة غرا جحاجحة ... أُسداً تُرَبِّبُ فى الغيضات اشبالا
لا يرمضون اذا حرت مغافرهم ... ولا ترى منهم فى الطعن ميالا
من مثل كسرى وسابور الجنود له
أو مثل وهرز يوم الجيش اذ صالا

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً
فى رأس غمدان داراً منك محلالا
واصطبّ بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك إسبالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبْوَالا

وكان أمية كثير العجائب يذكر فى شعره خلق السموات والأرض ويذكر الملائكة ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء وكان قد شام أهل الكتاب

أخبرنا إبن سلاّم قال فحدّث سفيان وابن دأب ان أمية مرّ بزيد بن عمرو بن نفيل أخى عدى بن كعب وكان قد طلب الدين فى الجاهلية هو وورقة بن نوفل. فقال له أمية: يا باغى الخير هل وجدت. قال لا قال: ولَمْ اوتَ من طلبَ قال: ابى علماء أهل الكتاب إلا انه منا أو منكم أو من أهل فلسطين، وناح أمية على قتلى بدر فقال:

ماذا ببدر فالعقنقل من مرازبة جحاجح
هلا بكيت على الكرام بني الكرام أولى المادح

وقال أمية:

ومايبقى علي الحدثان غفر بشاهقة له أمّ رؤوم
تبيت الليل حانية عليه كمايخرمس الارخ الاطوم
تصدى كلما طلعت لنشز وودت انها منه عقيم

الغفر ـ ولد الوعل ـ والأرخ ـ ولد البقرة ـ ويخرمس أى يتصمت ـ والأطوم ـ الضمّام بين شفتيه

ومدح أمية عبد الله بن جدعان التيمى فقال :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك ان شيمتك الحياء
كريمٌ لا يغيره صباح عن الخلق الكريم ولا مساء
وأرضك كل مكرمة بنتها بنو تيم وأنت لهم سماء

قال ابن سلام وأنشدنيها أبو بكر محمد بن واسع السلمى وأنشدنيها أيضاً أبو بكر وذكرتها لخلف فعرفها . وقال أمية :

عطاؤك زين لامرئ قدحبوته بخير وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه اليك كما بعض السؤال يشين

اخبرنا ابن سلام قال وذكر عيسى بن عمر بعض اهل الطائف عن اخت امية بن ابي الصلت . قالت : انّى لفى بيت فيه امية نائم اذ اقبل طائران ابيضان فسقطا على السقف فسقط احدهما عليه فشق

بطنه وثبت الآخر مكانه . فقال الأعلى للأسفل اوَعيَ قال وَعيَ قال أقبِلَ قال أبي ويقال زكا . قال نَخسأ فرد عليه قلبه وطار والتأم السقف قالت فلما استيقظ قلت له يا أخيّ أحسست شيئاً قال لا وانى لاجد توصيباً فما ذاك فأخبرته. قال يا أخيّه أنا رجل أراد الله بى خيراً فلم أقبله قالت فلما مرض مرضته التى مات فيها قالت فانى عنده اذ نظر الى السماء وشق بصره ثم قال : لبيكما لبيكما ، ها أناذا لديكما ، لا ذُو بَرَاءَة فأعتذر ، ولا ذو قوة فأنتصر . ثم أغمى عليه ثم شق بصره ونظر وقال: لبيكما لبيكما ، ها أناذا لديكما . وقال: لا ذو عشيرة تحميني ، ولا ذو مال يفديني . ثمّ أغمي عليه فقلنا قد أودى ثم شق بصره ونظر الى السماء فقال : ها أناذا لديكما ، محفود بالنعم ، مخضود من الذّنب . ثمّ أغمى عليه ثمّ شق بصره وقال :

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأىُّ عبد لك لا الما

ثمّ أغمى عليه ثم أفاق فقال :

ليتني كنت قبل ما قد بدا لى فى قلال الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول دهراً قصرُهُ مرة الى أن يزولا

ثم خفت فمات

قال ابن سلام وأبو محجن رجل شاعر شريف وكان قد غلب

عليه الشراب فضُرب فيه مراراً ثمّ حبسه سعد بالقادسية فى القصر معه والناس يقتتلون فجال المسلمون جولة وهو ينظر فقال :

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً علىّ وثاقيا
إذا قمت عنّانى الحديد واغلقت ... مصاريع من دونى تصمُّ المناديا
وقد كنت ذامال كثير واخوة ... فقد تركونى واحداً لا اخاليا
أرينى سلاحى لا أبالك إننى ... أرى الحرب ماتزداد إلا تماديا

وكان مقيداً يومئذ عند زَبْراء أم ولد سعد بن أبى وقاص فقال لها اطلقينى فلك الله لئن فتح الله عَلَى المسلمين وسلمت لأرجعن حتى أضع رجلى فى القيد فأطلقته وحملته على فرس لسعد فأخذ الرمح فخرج فقاتل فحطم المشركين وكان سبب الهزيمة فقال سعد لولا ان أبا محجن محبوس لقلت الفارس ابو محجن فلما فتح الله على المسلمين رجع إلى محبسه فقال له سعد لاضربتك فى الخمر ابدا فقال أبو محجن وأنا والله لا أشربها أبداً

قال ابن سلام ولغيلان بن سلمة شعر وهو شريف وكان قسّم ماله كله بين ولده وطلق نساءه فقال له عمر ان الشيطان قد نفث فى روعك انك ميت ولا أراه الا كذلك لترجعن فى مالك ولتراجعن نساءك أو لآمرنّ بقبرك أن يرجم كما يرجم قبر أبى

رغال ففعل

قال ابن سلام وفى البحرين شعر كثير جيد وفصاحة

منهم المثقب وهو عائذ بن محصن بن ثعلبة بن واثلة بن عدى بن دُهن بن منبه بن نكرة وهى القبيلة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وإنما سمى المثقب لبيت قاله :

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

وقال أيضاً :

ظعائن لا توفى بهن ظعائن ولا الثاقبات من لؤى بن غالب
ولا ثعلبياتٌ حللن عباعِبا ولا اسرة القعقاع من رهط حاجب

وتميم تنشد :

ولا نهشليات أبوهن دارمٌ ولا اسرة القعقاع من رهط حاجب

والمثقب العبدى هو الذى يقول :

أفاطم قبل بينك متعينى ومنعك ماسألتك أن تبيني
ولا تعدى مواعد كاذبات تمر بها رياح الصيف دونى
فانى لو تخالفنى شمالى عنادك ما وصلت بها يمينى
إذا لقطعتها ولقلت بيني كذلك أجتوى من يجتوينى
إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين

تقول اذا درأتُ بها وضيني أهذا دينه أبداً وديني
أكل الدهر حلا وارتحالا أما يبقى على ولا يقيني
فابق باطلي والجد منها كدكّان الدرابنة المطين

وهذه الأبيات بعض القصيدة وانما انتخبنا أجودها أبياتا

ومنهم الممزق العبدى واسمه شاش بن نهار بن اسود وانما سمي الممزق ببيت قاله :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركني ولما أمزق

قال و بلغنى أن عثمان بن عفان بعث به الى على بن أبى طالب رحمة الله عليهما ورضى عنهما حين بلغ منه وألح عليه

ومنهم المفضل بن معشر بن أسحم بن عدى بن شيبان بن سويد بن عذرة بن منبه بن نكرة ، فضلته قصيدته التى يقال لها المنصّفة وأوّلها :

ألم تر أن جيرتنا استقلوا فنيّتنا ونيتهم فريق

وقد اختلف فى القائل :

هل للفتى من بنات الدهر من راقي أم هل له من حمام الموت من واقى

وقال ابن سلام وقوله :

هوّن عليك ولا تولع باشفاق فانما مالنا للوارث الباقي

قال ولا أعرف باليمامة شاعراً مشهوراً

قال وفى يهود المدينة وأكنافها شعر جيد

منهم السموءل بن عادياء من أهل تيماء وهو الذى كان امرؤ القيس استودعه سلاحه فسار الحارث بن أبي شمر الغسانى فطلبه فاغلق الحصن دونه وأخذ ابناً له خارجاً من القصر فقال امّا أن تؤدى الى السلاح واما أن اقتله قال اقتله فانى لن أُوديه اليك فقتله فضرب به الأعشى المثل فقال :

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به ... فى جحفل كهزيع الليل جرّار

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدّار

فقال ثكل وغدر أنت بينهما ... فاختر فما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك انى مانع جارى

والسموءل بن عاديا يقول فى كلمة له طويلة :

انّ حامي اذا تغيب عنى ... فاعلمى أنني عظيما رزيتُ

ضيّق الصدر بالخيانة لا ... ينقض فقرى امانتي ماحييت

كم فظيع سمعته فتصامـ ... ـت وغيبي تركته فكفيت

ليت شعرى واشعُرَنّ اذا ما ... قربوها منشورة فقريت

ألىَ الفضل أمْ عَلَى اذا حوسـ ... ـبت انى على الحساب مقيت

ميْت دهر قد كنت ثم حييت وحياتى رهن بان سأموت

ومنهم الربيع بن ابى الحقيق من بني النضير وهو الذى يقول :

سائلْ بنا خابر أ كمائنا والعلم قد يلقى لدى السائل
لسنا اذا جارت دواعى الهوى وأستمع المنصت للقائل
واعتلج القوم بألبابهم بقائل الجود ولا الفاعل
إنّا اذا نحكم فى ديننا نرضى بحكم العادل الفاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلطُ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنحمل الدّهر مع الحامل

وكعب بن الأشرف وهو من طيئ وأمه من بنى النضير فكان فى أخواله سيداً وبكى قتلى بدر وشبّب بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المسلمين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله فقتلوه وهو القائل فى كلمة له :

رب خالٍ لىَ لو أبصرته سبط المشية أباءٍ أنِف
لين الجانب فى أقربه وعلى الأعداء سم كالذعف
ولنا بئرٌ رواءٍ جَمة من يردها باناء يغترف
ونخيل فى قلاع جمّة تخرج التمر كأمثال الكُلف

وصرير فى محال خلّةٍ آخر الليل أهازيج بدف

وشريح بن عمران الذى يقول في كلمة له :

آخ الكرام إن استطـ ـت إلى إخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وإن شربوا بها السم الثميلا
أأسيد انْ مال ملكـ ـت فسربه سيراً جميلا
أأسيد انّ المال لا يبكي إذا فقد البخيلا
إن الكريم إذا تؤا خيه وجدت له فضولا

وشُعبة بن غريض القائل فى كلمة له :

ياليت شعرى حين اندب هالكا ماذا تريثنى به أنواحى
أيقلن لا تبعد فربّة كربة فرجتها بيسارة وسماح
ومغيرة شعواء يخشى درؤها يوماً رددت سلاحها بسلاحى
ولربّ مشعلة يشبُّ وقودها اطفأت حرّ رماحها برماحى
وكتيبة أدنيتها لكتيبة ومضاغن صبحت شر صباح
وإذا عمدْت لصخرة أسهلتها أدعو بأفلح مرة ورباح
لا تبعدن فكل حى هالك لا بد من تلف فبن بفلاح
انّ امرءًا أمن الحوادث جاهلا ورجا الخلود كضارب بقداح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد دفعت الضيم غير ملاح

وأبو قيس بن رفاعة الذى يقول فى قصيدته :

اذا ذكرتْ امامة فرط حين ... ولو بعدت محلتها عريت
أكلّفها ولو بعدتْ نواها ... كأنى من تذكرها حميت
طليح لايوب إلىّ جسمى ... كأنى سم عاضهة سقيت
وذى ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على مساءته مقيت
وسيفى صارمٌ لاعيب فيه ... ويمنعنى من الرهق النبيت
متى ما يأت يوم لاتجدنى ... بعالى حين أتركه شقيت
ألين لهم وأفديهم بنفسى ... مقارشة الرماح اذا لقيت
وارهن فى الحوادث كف بكرى ... لجارى فى العظيمة إن دهيت
أراه ما أقام علىّ حقاً ... شريكى فى تلادي ما بقيت

وأبو الذيال الذى يقول :

هل تعرف الدار خف ساكنها ... بالحجر فالمستوى الى الثمد
دار لبهْنانة خدلجّة ... تبسم عن مثل بارد البرد
أثت فطالت حتى اذا اعتدلت ... ما ان يرى الناظرون من أود
فيها فاما نقا فأسفلها ... والجيد منها لظبية الجرَد
لا الدهر فان ولا مواعدها ... تأتى فليت القتول لم تعد
وعداً محاصله الى خلف ... ذاك طلاب التضليل والنكد

هيفاء يلتذُّها معانقها بعد علال الحديث والنجد
تمشي الى نحو بيت جارتها واضعة كفها على الكبد
نعم شعار الفتى اذا برد الليل وآضت كواكب الأسد
كانّ ماء الغمام خالطه راحٌ صفا بعد هادر الزبد
والمسك والزنجبيل علّ به أنيابها بعد غفلة الرّصد
دعْ ذا ولكنّ رب عاذلة لو علمت ما أريد لم تعُد
هبت بليل تلوم في شرَبي أ لخمر وذكر الكواعب الخرد
فقلت مهلا فلا عليك إن أمـ سيت غوياً غيبي ولا رشدى
انى لمستيقن لئن لمْ أمت يومِيَ إنى اذاً رهين غد
هل نحن الاّ كمن تقدمنا وكلٌّ من تم ظِمؤه يرد
نحن كمن قدمضى وما أن أرى شُحا يزيد الحريص من عدد
فلا تلومنّي على خلُقى واقنى حياء الكريم وأقتصدي

ودرهم بن زيد الذى يقول :

هجرت الرباب وجاراتها وهمك بالشوق قد يطرَح
يمانية نازحٌ دارها تقيم بغمدان لا تبرح
لعمر أبيك الذى لا أه ين انى لأعطى وأستفلح
وأدلج بالقوم شطر الملو ك حتى اذا خفق المجدح

أمرت صحابي لكي ينزلوا فناموا قليلا وقد أصبحوا
أجدّوا سراعاً فأفضى بهم سراب بدويّة أفيح

الطبقة الاولى من الاسلاميين

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلام قال سمعت يونس بن حبيب يقول ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق واجمع اهل المجلس على احدهما . وكان يونس يقدم الفرزدق بغير افراط وكان المفضل يقدمه تقدمة شديدة . قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العامري عن عكرمة بن جرير أن جريراً قال نبعة الشعر الفرزدق . وقال ابن دأب وسئل عنهما فقال الفرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة

أخبرنا أبو خليفة أخبرنا محمد بن سلام أنشدنا يونس للفرزدق حين طلق النوار :

ندمت ندامة الكسعي لمّا غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنة فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقئ عينيه عمداً فأصبح ما يضيء له نهار
ولو ضنت يداي بها ونفسي لكان عليّ للقدر الخيار